الدكتور بشار عواد معروف

إيران في ربيع الإسلام

دار الغرب الإسلامي

© دار الغرب الإسلامي

جَميع الحُقوق محفوظَة

الطبعة الأولى 2021 م

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات ، أو نقله بأي شكل كان ، أو بواسطة وسائل الكترونية ، أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .

الإهداء

إلى أستاذي المستشرق الألماني الكبير

العلامة الأستاذ الدكتور بَرْتُولد شبُولَر

١٩١١-١٩٩٠م

هذا الكتاب ثمرة من ثمرات جُهده في تعليمي

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين والصلاةُ والسلامُ على سيِّدنا وإمامِنا وقُدْوتنا وأسوتنا مُحمد وعلى آله الطَّيبين الطاهرين وصحابته الغُر الميامين أجمعين وبعد،

فهذا كتاب يحكي قصة بلدٍ أكرَمَهُ اللهُ بالإسلام، دين الحق والعَدْل والإنصاف، وتقبّله أهلُه وسُعِدوا به فتحولوا إليه طائعين مُختارين إذ أخرجهم من عبادة العباد إلى عبادة الواحد القهار، ومن جور الإنسان الذي كان ثقيل الوطأة عليهم إلى عدل الإسلام وسماحته، وتبنوا لغتَهُ العربية الكريمة المقدسة التي انتشرت بانتشاره، فتعلموها وعلّموا أبناءهم، فهي لغة كتاب الله تعالى، ولغة نبيه المبعوث رحمة للعالمين، ولغة أصحابه الذين حملوا الرسالة وأدوا الأمانة، ومن ثم صارت هذه اللغة لغة هذا الدين، فدونوا بها أحاديثه، وبها عقدوا مجالس الوعظ والتذكير والإملاء، وبها كتبوا الفقه الذي ينظم علاقة الفرد بخالقه وعلاقته بأخيه الإنسان، وعبروا عن آرائهم وأفكارهم في شتى مناحي الحياة، وصاغوا أحاسيسهم ومشاعرهم بشعر عربي في الغاية من الجمال، وأكبوا على ينابيع هذه اللغة العذبة ينهلون منها كل معنى جميل، وكان منهم العلماء الأفذاذ الذين أسهموا في العناية بها ووضع قوانينها.

وقد وَحّد الإسلام العظيم كل البشر الذين انضووا تحت لوائه، فكان عالم الإسلام واحدًا لا حدود بينه تمنع الناس من التحول والاستيطان في أي بقعةٍ منه، من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب والأندلس.

ومع أنَّ بعض أعداء الدين الحق قد توقد نار الشنآن في قلوبهم وظلوا في حنين دائم إلى الامبراطورية الكسروية التي مزقها المسلمون شر ممزق فكانوا دعاة الشعوبية البغيضة التي لا ترى للعرب فضلًا وتُعْلِنُ بُغْضَهم بعد

أن شفى الصدور منهم طول جثوم الحسد على أكبادهم[1]، فإن شعب إيران المتكوّن من أعراق شتى، ومنهم العرب الذين استوطنوا هذه البلاد وعمروها وصاروا جزءًا أساسيًا من أهلها، قد تأصل هذا الدين الحق في نفوسهم، فكان علماؤها من حُرّاسه طوال تسعة قرون إلى حلول الداهية العظمى باستيلاء الصفويين على مقدرات البلاد في مطلع المئة العاشرة للهجرة، فكانوا كثيري الوقائع في أمة الإسلام، سخروا كل إمكاناتهم المادية والفكرية والعسكرية للقضاء على جذوة هذه الثقافة، وأغروا بهذا الأمر، وركبوا رؤوسهم في بهتان لم يشهد له التاريخ مثيلًا لتحقيق مآربهم الدنيئة في الهدم والتخريب، فتحققت بعض مقاصدهم من هذا التدمير الشنيع.

لقد وجدنا من أهم الواجب علينا أن نُعير هذا البلاء الذي حَلَّ بهذا البلد من نظرنا لمحة ومن فكرنا قَدْحة ندرأ عنه وَغَل الشعوبيات وما ألصقهُ به أعداؤه من أباطيل وتُرّهات يُحَرّفون التاريخ ويكذبون عليه لأغراض وأعراض دنيئة، فكان لا بد من بيان حال هذه البلاد في القُرون التسعة الأولى من تاريخ الإسلام، والتركيز على المدة التي سبقت الاجتياح المغولي في القرن السابع الهجري، لذلك أطلقت على هذا البحث: «**إيران في ربيع الإسلام**»[2]، وهو عنوان مُعَبِّر عن حال هذه البلاد في المدة التي تناولها، وجعلته في ستة فصول:

عنوان الفصل الأول: إيران والعرب والإسلام، تناولت فيه فتح إيران على عَهْد الفاروق عُمر بن الخطاب رضي الله عنه، بَيّنتُ فيه أنَّ الفُتوحات الإيرانية إنما خرجت من رَحِم فتوح العراق، فكان لا بد من إلمامة بفَتْح

---

(١) البيان والتبيين، للجاحظ ٣/ ٢١.

(٢) من الجدير بالذكر أنَّ لأستاذي العلامة الأستاذ الدكتور برتولد شبولر كتاباً باللغة الألمانية طُبِع في فيسبادن سنة ١٩٥٢م عنوانه: Iran in früh-Islamischer Zeit، وقد تُرجم إلى الفارسية سنة ١٩٧٠م وطبع بطهران بعنوان: «تاريخ إيران در قرون نخستين إسلامي» مع اختلاف فحوى الكتابين اختلافًا تامًا.

العراق وأهمية معركة القادسية التي ضرب فيها عُمر بن الخطاب ملوكَ العجم بملوك العَرَب، فلم يدع رئيسًا ولا ذا رأي وذا شَرَف وبَسْطة ولا خطيبًا ولا شاعرًا إلّا رَمَى الساسانيين به، فرماهُم بوجوه النّاس وغُررهم، وفيها قُتِل رُسْتُم قائدُ الجيش والجالينوس مُقدّم الطلائع، وكان أعظم انتصار يُحرزه العربُ المسلمونَ على الامبراطورية السّاسانية التي سامت الناس سوءَ العَذاب على مَدَى أزمان طويلة، حيث دخلوا المدائنَ واستولوا عليها بعد هُروب كِسْرى يَزْدجرد إلى حُلْوان. ثم كانت معارك جلولاء ونهاوند الخالدة التي فتحت الطريق إلى تحرير إيران والقضاء على فُلول الجيش الإمبراطوري الساساني، فتم فتح قُم، وقاشان، وأصبهان، وأذْرَبيجان، والرَّي، وهَمَذان، وقُومس، وجُرجان، وطَبَرستان، فبدأ الإسلام ينتشر في هذه الرُّبوع بسُرعة فائقة بعد أن شاهدَ سُكان البلاد المفتوحة من عَدْل الإسلام وحَمَلتِه ما جعلَهُم يتسارعون إليه زرافات ووحدانا.

ثم تناولت في هذا الفصل استيطان القَبائل العربية في إيران، وأشرتُ فيه إلى أنَّ الهجرة العربية إلى إيران كانت قد بدأت قبلَ الإسلام بمدةٍ ليست بالقَصيرة، إذْ هاجرَ عددٌ كبيرٌ منهم عن طريق البَحْر من كاظمةَ وبلاد عَبْد القيس والبَحْرين وأناخوا على أبرشَهر وسواحل أرْدَشير خرّة وأسياف فارس، وما قامَ به سابور ذو الأكتاف من إسكان قبائل تَغْلِب وعبد القيس وبَكْر بن وائل أماكنَ مثل كرمان وتُوج والأهْواز. وسكنَ آل عُمارة المعروفون بأولاد الجُلَنْدَى إقليم فارس وأقاموا فيه مملكةً عريضةً.

أما الأهواز فهي امتدادٌ طبيعيٌّ لأراضي جنوب العراق، وكانَ العربُ قد استوطنوها قبل الإسلام.

ثم بيّنا في هذا الفصل أنَّ تدفقَ القبائل العَرَبية نحو إيران قد بدأ بشكل كبير وإثر الفتوحات الإسلامية، فاستوطن الكثيرُ من الفاتحين بعيلاتهم في هذه البلاد، في مُدنها القَديمة، أو بما استحدثوا من المُدن الجديدة، مثل ما فعلوا

في العراق والشام ومصر وشمال إفريقية، وتحوَّلَ كثير منهم على مَرِّ الأزمان إلى الزِّراعة والتجارة لا سيما بعد انتهاء العَمَل بنظام العطاء في أوائل العَصْر العباسيّ، فتناولنا بشيءٍ من التفصيل استيطان العرب في الرَّي، وقَزْوين، وهَمَذان، والسِّيروان، والصَّيْمَرة، وحُلْوان، والدِّيْنَوَر، ونهاوند، والكَرَج، وماسِبْذان، وأذْرَبِيجان، وتِبْريز، ومِرَند، وأُرْمية، والميانج، وخِلْباثا، وبَرْزة، وأصفهان، وجُرْجان، وكَرْمان، وخُراسان.

وعُنِيَ الفصل أيضًا ببيان انتشار اللغة العربية في إيران حينما أدركَ الإيرانيون بعد إسلامِهم أنَّ العربية من لوازم الدِّين، وأنها شعار الإسلام وأهله، وأنَّ فقه هذا الدين لا يمكن أن يتحقق على الوجه إلا بمعرفة العَرَبية، فعنوا بتعلمها وإتقانها، وعَمِلوا على أن يعتادَ أطفالُهم الخطابَ بالعربية مُنذ صِغَرهم بحيثُ صارت العربية هي اللُّغة الأُم لهم، ففشت لغةُ الدِّين الجديد حتى صارَ من الصَّعْب تمييز العربي الصَّريح في نَسَبِه عن العربي المُنْتَقل إلى قوميّة العرب باللغة والدِّين ومُسْتَلْزماتهما، فكانت اللُّغة العربية هي لغة الإيرانيين الأدبية التي أَلِفوا فيها كتبَهُم وعَبَّروا فيها عن آدابِهم نثرًا وشعرًا.

لقد بَيّنا أنَّ انتشار العربية في البلاد وشيوعها تمثَّلت بكَثْرة القبائل العَرَبية التي استوطنت بلادَ إيران حتى أنَّ بعضَ المُدن لم تُعرف إلا بسُكّانها العرب، مثل قُم وبُشْت. وبأنَّ العربية أصبحت اللُّغة الرَّسمية بين أهل العِلْم، بها كانوا يَتَحاورون ويؤلِّفون كُتُبَهم وأبحاثَهم ورسائِلَهُم، وأنَّ التأليفَ باللغة الفارسية الحديثة كان قليلًا جدًّا ومتأخرًا، وأنَّ مجالسَ الإملاء باللُّغة العربية كانت تُعْقدُ في المساجد الجامعة وفي السّاحات الكبيرة والدُّور الواسعة ويحضرها ألوف الطَّلبة مع مَحَابرهم وأوراقهم يكتبونَ هذه الأمالي، فضلًا عن مجالس الوَعْظ والتَّذْكير باللُّغة العربية، وأنَّ جماهير السّامعين كانوا يفهمون المواعظ العربية مما يدلُ على انتشارها الواسع بين جَمَاهير الناس وعَوامِّهم، وضَرَبنا الأمثلةَ الكثيرةَ على ذلك.

أما الفصل الثاني فقد تناول مُدن العلم الكبرى التي ضمت آلافَ العُلماء الذين عاشوا في هذه المُدن الإيرانية وصَنّفوا آلافَ الكُتب والرَّسائل ودواوين الشِّعْر باللغة العربية تشهدُ بذلك تواريخُ المدن التي أَلَّفها العلماء وذكروا فيها آلاف المُتَرْجَمين، مثل تواريخ أصبهان، ونَيْسابور، وجُرجان، وإستراباذ، وشِيْراز، وقَزْوين، فضلًا عن كتب تراجم العلماء التي تناولت عشرات ألوف منهم.

لقد عُنيت بذكر نماذج من عُلماء بعض المُدن الكُبرى، مثل أصبهان التي أخرجت من عُلماء أهل السُّنّة ما لا يُحْصَى كثرة في جميع المجالات العِلْمية، فيهم القُراء، والمُفَسِّرون، والزُّهاد، والصُّوفية، والمحدِّثون، والفُقهاء من الأحناف والشافعية والحنابلة، والأدباء، والشعراء، والمتكلمون وأهل البراعة في جميع الفُنون، وعلى مدى العُصور إلى استيلاء الصَّفَويين عليها وتحويلها بالقَهْر والتقتيل والتَّهْجير إلى تشيّع غريب لم يعرفه التَّشيع من قبل.

ومن حواضر إيران العظمى في ربيع الإسلام نَيْسابور التي كتب أبو عبد الله الحاكم النَّيْسابوري (ت ٤٠٥هـ) تاريخه العظيم المؤرِّخ لعلماء هذه المدينة التي أخرجت الألوف المؤلّفة من العُلماء رفدوا الفِكْر الإسلاميَّ بمئات المؤلَّفات العربية، وذيله المعروف بـ«السِّياق» لعبد الغافر بن إسماعيل الفارسي (ت ٥٢٩هـ).

وقد بيّنا أنَّ الدراسة التي قام بها العلامة الأستاذ الدكتور ناجي معروف في كتابه النّافع «عُروبة العُلماء المنسوبين إلى البُلْدان الأعجمية» تبين أنَّ أكثر العُلماء المَنْسوبين إلى نَيْسابور خاصة وإلى خُراسان عامة كانوا من أرُومة عَرَبية، كما لاحظنا أنَّ خُراسان طوال عُقُودها كانت حاملة راية أهل السُّنة والجماعة قلّما نجدُ فيها، ومنها نَيْسابور، نشاطًا لغيرهم حتى العصر الصَّفَوي. وحاولنا بقدر ما يَسْمح به مثل هذا الكتاب المختصر المُعْتَصر أن نلقي نظرةً عَجْلَى على أبرز عُلماء نَيْسابور من القُراء، والزُّهاد، والفُقهاء، والمحدثين، والأدباء واللغويين، فنذكر نماذج مختارة منهم، وإلا فإن الإحاطة بمجموعهم يحتاج إلى مجلدات كثيرة تُعْجِز الكتّاب.

وعنيتُ بذكر مدينة طوس التي حوت بعض رموز التَّشيع لكنها كانت سُنّية بحتة، وهي المدينةُ الثانية في رُبْع نَيْسابور من أرباع خراسان، وتتألف من المدينتين التوأمين: الطابران ونُوقان، وبقربهما قرية سناباذ التي دفن فيها هارون الرشيد، ثم عليّ بن موسى الرضا بعده، وعرفت فيما بعد باسم «مَشْهد»، والقبران متقاربان في قُبة واحدة، وفي شرقي قُبة الضريحين المذكورين يقع ضريح الإمام أبي حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ.

لقد بيّنا أنّ مدينة طُوس كانت مُغْلَقة للمذهب الشّافعي لا أثر فيها للمذاهب الأُخرى، سوى تجمع يسيرٍ في المئة الخامسة لبعض الشِّيعة الإمامية حول مَرْقد عليّ بن موسى الرِّضا، وهم قِلّة قليلة جدًّا. وقد أخرجت طُوس ثلةً من عُلماء أهل السُّنّة اشتهروا في الآفاق. وذكرنا عددًا من عُلمائها الذين عُنوا بالقراءات القُرآنية، والوعظ، والزُّهد والتَّصوف، والفِقْه، ويكفي أنها أخرجت عَلَمين بارزين في مَذْهب الإمام الشافعي هما: نظام الملك الحسن بن عليّ الطوسي الوزير القدير (ت ٤٨٥هـ)، والعالم الغزير أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ).

واشتُهرت جُوَيْن بما خَرّجته من كِبار العُلماء منهم آل حَمُّوَيَة الجُوينيّ المشهورون بالزهد والعلم والرِّياسة والذين انتقلَ بعض أحفادهم إلى مصر والشام أيام الأيوبيين وكانت لهم المنزلة المَرْموقة في العلم والسياسة. وكانت جُوَيْن تتمذهب بمذهب الإمام الشافعي، وفيها وُلد الإمام العربي السِّنْبِسي أبو محمد عبد الله بن يوسف الجُويني والد إمام الحرمين، ثم ولده إمام الحرمين الذي طبقت شهرته الآفاق، وذكرنا مما أخرجت هذه المدينة من المحدثين وغيرهم.

وذكرنا إسفراييين المركز العلمي في رُبْع نَيْسابور التي نُسِبَ إليها عددٌ من كبار المحدثين والفقهاء، إذ كان أهلها «أهل حديث» على حد تعبير المقدسي، ويكفي أنها أخرجت أبا عَوَانة الإسفراييني ذاك المحدِّث المتميز، وأبا نُعيم الإسفراييني، كما اشتهرت بزهّادها، وتمذهبها بمذهب الإمام الشافعي.

أما بَيْهَق الواقعة غربي نَيْسابور ومنها سَبْزُوار وخُسروجرد، فإنَّ كتاب فريد خُراسان علي بن زيد البَيْهقي الحنفي المتوفى سنة ٥٦٥هـ «تاريخ بيهق» أكبر شاهد على منزلتها العلمية، ويكفي أنها أخرجت أبا بكر أحمد بن الحُسين البيهقي الشافعي المتوفى سنة ٤٥٨هـ صاحب التصانيف الماتعة النافعة الكثيرة، والذي جمعَ نصوص الإمام الشافعي واحتج لها بالكتاب والسُّنّة.

وبَيّنا كثافة الجالية العربية في مدينة جُرْجان الواقعة جنوبي بحر قَزْوين وما أنتجت من عُلماء عاملين استوعبهم كتاب «تاريخ جُرجان» لحمزة بن يوسف السَّهْمي المتوفى سنة ٤٢٧هـ ثم «تاريخ الإسلام» الذي ترجم لمن نجموا بعدَهُ. وقد عُنينا بذكر القبائل العربية التي استوطنتها من بني تميم، وبني جُمَح، وبني أَسَد، وقُريش، والأَزْد، وحِمْير، وهَمْدان، وكِنْدة، وبَجِيلة، وجُهَيْنة، وباهِلَة، وبني عامر، وبَكْر بن وائل، وبني شَيْبان، ورَبِيعة وغيرهم، وذكرنا العُلماء الذين نَبَغوا من هذه القبائل في شتى العلوم.

ثم ذكرنا كورة قومس وما اشتملت عليه من مُدن وبليدات وقُرى، وهي التي أخرجت العديد من العلماء في شتى العلوم والفنون ممن كانت ثقافتهم عربية في الأدب والوعظ والإملاء والحديث والفقه وغيرها، ذكرنا مشاهيرهم ومتميزيهم من أهل الدامغان، وبسطام وبيار وسِمْنان.

وعُنينا بعدها بذكر جرجان الواقعة في جنوب بحر قزوين، وذكرنا ثلة من العُلماء الذين عاشوا في هذه المدينة، وبيّنا أنَّ جل سكانها من العرب الأقحاح، كما يظهر من الكتاب الذي ألفه مؤرخها حمزة بن يوسف السهمي المتوفى سنة ٤٢٧هـ حتى صارت مدينة عربية صرفة لكثرة القبائل المستوطنة فيها، ونشط علماؤها في شتى المجالات. وعُنينا بذكر علمائها من العلويين الحُسينيين والحسنيين، والعباسيين، ومن استوطنها وتميّز في علمه من القرشيين الآخرين: من التيميين، والأمويين، والجُمحيين، والأسديين، والسهميين

وغيرهم. ثم من قبيلة الأزد التي صاحبت فاتح جرجان ثانية يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي واستقرت في هذه المدينة. وعُنينا بذكر علمائها من حمير، وهَمْدان، وكِنْدة، وبَجِيلة، وجُهينة، وتميم بعشائرها المتعددة، وسُلَيْم، وباهلة، وثقيف، وبني عامر، وبكر بن وائل، وشيبان، وربيعة، فضلًا عن علمائها من الأنصار. وأشرنا عند الكلام على علمائها البارزين إلى البيت العلمي الرفيع العماد، البيت الإسماعيلي، وعميده الإمام الجهبذ أبي بكر أحمد بن إبراهيم المتوفى سنة ٣٧١هـ صاحب التصانيف النافعة الماتعة وذريته التي رفدت الثقافة العربية الإسلامية بالنافع من التصانيف.

وعُنينا بذكر مدينة الري التي أخرجت جماعة متميزة من العلماء والمحدثين في كل فن مما تزخر به كتب الرجال والتراجم من القراء والفقهاء الأحناف والشافعية، والقضاة، والوعاظ، والأطباء، والصوفية، والمتكلمين، فضلًا عن كبار علماء الحديث ونقّاده ممن أسهموا إسهامًا متميزًا في الحضارة العربية الإسلامية، وقد دونوا جميع مؤلفاتهم باللغة العربية السائدة في البلاد يومئذٍ، وذكرنا ثلة من علمائها المشهورين في كل فن من الفنون المشار إليها.

وأشرنا إلى مدينة شيراز مركز محافظة فارس التي اشتهرت بكثرة علمائها في شتى الفنون ممن استوطنوا العديدَ من المدن الإسلامية لا سيما بغداد. وبيّنا كثرة العلماء الذين أخرجتهم هذه المدينة مما حدا بالمحدث أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز الشيرازي القصار الحافظ أن يكتب في نهاية المئة الرابعة «طبقات أهل فارس وشيراز»، ثم قام أبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث بن علي الشيرازي المتوفى سنة ٤٨٥هـ بتصنيف تاريخ لها.

وقد عُنينا بالإشارة إلى ما أخرجته هذه المدينة من كبار الصوفية، والقضاة، والفقهاء الشافعية والداودية الظاهرية، وكبار المحدثين الذين استوعبتهم التواريخ المدوّنة لهذه المدينة وعلمائها.

ثم ذكرنا مدينة سجستان المعروفة اليوم باسم «سيستان» التي أشار ياقوت الحموي في مطلع المئة السابعة إلى أن ليس بينهم من المذاهب غير الحنفية. وأشرنا إلى أنّ أول من نقل الديوان من الفارسية إلى العربية في زمن الحجاج بن يوسف الثقفي هو رجل من أهل هذه المدينة. ثم عنينا بذكر ما أخرجته هذه المدينة ممن عُني بالقرآن الكريم وعلومه، ثم اتبعنا ذلك بذكر صوفيتها وزهادها، وفقهائها الحنفية المشهورين، ومحدثيها المذكورين وفي مقدمتهم أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي الذي طار صيته في الآفاق.

وعُني الفصل الثالث من هذه الدراسة، وهو أطول فصولها، برصد الثقافة العربية في القرى الإيرانية إذ لم تعد بلدة أو قرية تخلو من عالم أو طالب علم يلقي أو يحدث أو يؤلف بالعربية في فنون معرفية متنوعة، مما يشير من غير ريب إلى أنَّ العربية كانت وعاء التواصل وقناة التعامل بين الناس على الرغم من مساحة الحرية الواسعة التي تمتع بها غير العرب في الحفاظ على لغاتهم وثقافاتهم، وهو أمر يوضح سبب عولمتها التي صارت واضحة في مسار الحياة.

وتناول هذا الفصل القرى والبلدات التابعة للمدن الإيرانية الكبرى في تلك الأعصر، وكثير منها قائم إلى يوم الناس هذا، وذكرنا العلماء المنسوبين إليها واستقصينا مشاهيرهم من القراء، والوعاظ، والمُمْلين، والصوفية والزهاد، والنحويين، واللغويين، والأدباء، والفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين، وأصحاب العلوم الصرفة، ولم نذكر فيهم أولئك الذين أصولهم من هذه القرى والبلدات لكنهم استوطنوا البلدان الأخرى إلا الذين ولدوا ودرسوا بها على مشايخها، ثم رحلوا إلى بلدان أخرى.

وبدأنا بقرى خُراسان رضوي، وهو القسم المتبقي من خراسان التاريخية ضمن الحدود الإيرانية، واستفتحنا البحث بقرى نيسابور ومن نُسب إليها من كبار العلماء، فذكرنا إسْفَنْج، وأشْفَنْد، وباخَرْز، وباروس، وبِجِسْتان،

وبُرْنُوذ، وأبْزار التي يقال لها بَزَارة، وبَرْنُو، وبُزْديغَر، وبَسْتِيغ، وبُشْتَنِقان، وبُغانِخَذ، وبَغُولَن، وجُنابَذ، وجَنْجَرُوذ، وجُنْدَفَرْج، وخُبُوشان، وخَوَاف، ودَبِير، ودِيْوَرَة، وزاه، وسُرْخَك، وسُوريان، وطَخْرُوذ، وفَرَنْداباذ، وكارِز.

ثم ذكرنا قرى طوس وإسفراايين ومن نُسب إليها من العلماء، ومنها تُرُوْغْبَذ، وخِيْن، وراذَكان، وشُلانْجِرد، وفاز أو پاز، وكُوْفِياذْقان، ومارِشك، وجَوْسَقان، وخُش، وزَرْد، وكوران.

ثم ثنّينا بقرى إقليم الجبال، وهو المشتمل على قرى المدن الثلاث الكبرى: أصبهان وهمذان والري، وبدأنا بذكر قرى دُرّة هذا الإقليم أصبهان، فذكرنا من قراها وبلداتها التي أخرجت علماء في ميادين شتى: آبَهْ، وآزاذان، وأَرْدَسْتان، وأرْزَنان، وأسْبار، وأُسْتاذَبَران، وأَسْفِيذَبان، وإسْفِيذَدَشْت، وأَسْوَارَى، وبادَران، وباطِرْقان، وبُزَان، وبَلُومية، وجُوْزْدَان، وجَيْران، وحسناباذ، وخان لَنْجان، وخَرَاسَكان، وخُونْجَان، ودارَك، ودُلِيْجان، وراران، ورُنان، ورُوْذَدَشْت، وزَرَنْد، وسُوْذَان، وسُوذَرْجان، وسِين، وطِهْران[1]، وطِيرا، وفابِجان، وفَاذَجان، وفارْفان، وفِرْسان، والفَرَك، وكار، وكُنْدايج، وكُنْدُلان، ولَفْتُوان، وماربان، ومَيْبُذ، ونائين، ونَطَنْز، وواذار، ووِذْلان.

أما قرى هَمَذان وبلداتها التي نُسِبَ إليها العديد من العلماء في كل فن، فقد ذكرنا منها: أزْناوة، وأسدآباذ، وبُوزَنَجِرد، وتُوَي، وجَلْوَاباذ، وجُوْرْقان، ورُوْذْراور، وكوملاباذ، وموسياباذ.

وأما قرى الري وبلداتها ممن نُسِب إليها من العلماء فذكرنا منها: خُوار، وخُومِين، ودباوند، ودشتك، ودَهَك، ودولاب، وسُر، وطِهْران، وطُورين، ومِهْرقان، وهِسِنْجان، ووَرَامين.

---

(١) هي غير طهران الري الآتي ذكرها والتي أخذت مكان الري وصارت عاصمة البلاد.

وعُنِينا بعد هذا بذكر قرى منطقة جُرجان وإستراباذ وبلداتها ومن نُسِبَ إليها من متعيني أهل العلم، ومنها: باغَش، والزَّبَح، وطرخاباذ، وكَش، وماقلاصان، ومهريجمين، ووَزْدُول، ووَسَسْكر، وسُوراب، وفُوكِرد، ولِيموسك.

ثم أعقبنا ذلك بذكر بلدات فارس وقُراها ومن نُسِبَ إليها من العلماء، وأولها: البيضاء، ثم جُور، وجُويخان، وخُمَايجان، ودَرَابجِرد، وسابور، وفَسَا (پسا)، وفِسِنْجان، وفِيروزآباد، وكازرون، وماين، ونوشجان، ثم ذكرنا قرى مدينة شيراز: خَبْر، وزيادآباذ، وكَوِنجان، ونَيْريز.

وخَتَمنا الفصل بذكر بلدات الأهواز وقُراها، ومنها: أرّجان، وبَيْرُوذ، وتُسْتَر، ورامهرمز، ودَسْتُوا، والسوس، وسينيز، وعَبّادان، وغَنْدَجان.

وأرى من المفيد الإشارة هنا إلى أنَّ كثيرًا من تراجم العلماء الذين عاشوا في هذه القرى الإيرانية كانت من صياغتي حينما كانت المعلومات عنهم مقتضبة، وذلك اعتمادًا على دراسة أسانيد الروايات واستخراج من روى عنهم المترجم ومَن رَوَى عنه، وهو مما لا يوجد في مصدر معين من المصادر، وهي عملية ليست باليسيرة. وكان الغرض من ذلك استيعاب جمهرة العلماء الذين استوطنوا هذه القرى، على وجه لم نسبق إليه بحمد الله ومَنّه، ممن عنوا برواية الحديث، ودراسة الفقه، والتضلع بالعربية مما يشير إلى شيوعها ليس في المدن الكبرى حسب، لكن في كل قرية صغيرة أو كبيرة.

وخصصنا الفصل الرابع للمدارس العربية في إيران، وبيّنا بادئ ذي بدء أنَّ نظام التعليم العربي الإسلامي قد بدأ في المساجد التي قامت بوظيفتها كمؤسسات تعليمية إلى جانب وظيفتها الأساسية أماكن للعبادة، ففيها يُدرّس الفقه، وبها يعقد العلماء مجالس الإملاء، وبها يعظ الوعّاظ ويُذَكّر المذكرون.

وأشرنا في هذا الفصل إلى أنَّ ظهور المدارس العربية في إيران قد سبق جميع البلدان الإسلامية بما فيها العراق عمومًا وبغداد خصوصًا، ذلك أنَّ

إنشاء المدارس العربية في هذا البلد قد بدأ منذ النصف الأول من المئة الرابعة، بينما أسست المدارس في العراق في أوائل النصف الثاني من المئة الخامسة. ولاحظنا أنَّ هذه المدارس كانت من المدارس الأُحادية: إما حنفية أو شافعية، وهما المذهبان الفقهيان السائدان في إيران حتى العصر الصفوي.

كما يتعين الانتباه إلى أنَّ التدريس في جميع المدارس التي وقفنا عليها كان باللغة العربية، ولم نقف على أي مدرسة كانت تدرس بغير هذه اللغة.

ثم بيّنا أن هذه المدارس لم تكن مدارس مسجدية، فقد دُفن فيها عدد من مؤسسيها ومدرسيها. وأن كثيرًا من هذه المدارس كانت تشتمل على خزائن للكتب العربية، وكان لها خزنتها ومشرفوها، مما يوفر للطالب الحصول على المعلومات بسهولة ويُسر.

وكان الذي يقوم بإنشاء المدرسة عادة أحد العلماء أو المياسير من الحكام والأمراء ويوقف عليها الوقوف الدارة لديمومتها.

ولاحظنا أنَّ أقدم مدرسة وقفنا عليها أنشأها أحد العلماء العرب بنيسابور قبل منتصف المئة الرابعة، وهو أبو الوليد حسان بن محمد القرشي الأموي النيسابوري الشافعي المتوفى سنة ٣٤٩هـ، والثانية أنشأها أحد العلماء النيسابوريين الشافعية من بني تميم هو محمد بن عبد الله بن حمشاذ الحمشاذي التميمي المتوفى سنة ٣٨٨هـ.

لقد وقفنا بحمد الله ومَنِّهِ على تسع وسبعين مدرسة من المدارس العربية، فكان فصلًا متميزًا استغرق وقتًا ليس بالقصير في تفتيش المصادر، وبيّنا كيف أسهمت هذه المدارس الإسهام الفاعل في نشر اللغة العربية بين السكان مما جعل هذه اللغة حيّة في نفوس السكّان يتفاخرون بمعرفتها والتحدث بها، وقراءة كتب العلم المدونة بها.

وعُنِيَ الفصل الخامس بذكر شعراء العربية في إيران، سواء أكانوا من أصول عربية ممن استوطنوا تلك البلاد فصاروا من أهلها أو ممن استعربوا

بعد اعتناق الإسلام وهم من أصول أعجمية، كما عَبَّر الشاعر أبو المفاخر حَمْد بن علي النيرماني الذي قال:

فإن لم يكن في العُرب أصلي ومنصبي ولا من جدودي يعربٌ وإيادُ
فقد تسمع الورقاء وهي حمامةٌ وقد تنطق الأوتار وهي جمادُ

وأوضحنا في هذا الفصل أنَّ المكانة المكينة لشعراء العربية في إيران تُجَسِّدها الموسوعات الشعرية المؤلَّفة لبيان شعراء العربية في جميع البلدان التي دخلها الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، مثل «يتيمة الدهر» و«تتمة اليتيمة» لأبي منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٣٠هـ على الصحيح، و«دمية القصر» للباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧هـ، و«خريدة القصر» للعماد القرشي الأصبهاني المتوفى سنة ٥٩٧هـ وغيرها، إذ خصصت مساحات واسعة منها لشعراء العربية في إيران، فضلًا عن الدواوين الكثيرة التي احتوتها خزائن الكتب بالخافقين.

ولاحظنا أنَّ حكّام هذه البلاد، وجُلُّهم منذ المئة الثالثة من الأعاجم، قد عنوا بالعربية وبرعوا فيها، وكافؤوا عليها، وهكذا كان وزراؤهم وكتّابهم وشعراؤهم، حتى صار بعض الأمراء والوزراء والكتاب مضرب الأمثال في البلاغة العربية والتمكن منها، ومن ثم فقد وجدنا من المفيد التنويه بالملوك والأمراء الشعراء فذكرنا نماذج من شعرهم المُسْتَحسن.

ثم ذكرنا الوزراء والكتاب الشعراء، وأشرنا إلى اثنين منهم طار صيتهما في الآفاق هما: ابن العميد، والصاحب ابن عباد، فهما مثلان حَيّان لما كان عليه الأمر أبدًا في إيران حيث كانت الأسر الحاكمة من الطاهريين والصفاريين والسامانيين والغزنويين، والسلاجقة والخوارزميين لا يستوزرون أو يتخذون كتّابًا إلا مَن برع في العربية وسار ذكره في حُسن الترسل، لأن لغة الدولة والناس هي العربية التي تجذرت في البلاد.

وعُنينا بالإشارة إلى القضاة الشعراء وسقنا بعض أشعارهم، وكذلك

الفقهاء والشعراء الذين عنوا بالعربية عمومًا وبنظم الشعر خصوصًا، بل إنَّ بعض الشعراء كان يستفتي الفقهاء شعرًا، وكان الفقيه يجيب المُسْتفتي شعرًا، وهو ترفٌ يدل على تمكن منقطع النظير في العربية، ووجدتُ من المفيد أن أقدم نماذج من ذلك له عشرات نظائر.

أما الشعراء الأدباء فهم كثرة كاثرة ملأوا الدنيا بأشعارهم الرائعة ومعانيها الفائقة في شتى أغراض الشعر من إخوانيات ومديح وهجاء وغزل ووصف ونحو ذلك. ولم تخلُ مدينة من المدن الإيرانية من شعراء متميزين تركوا بصماتهم الواضحة في الشعر العربي.

وقد رأينا من المفيد أن نذكر شعراء بعض المدن الإيرانية، وابتدأنا بأصبهان التي قال فيها أبو منصور الثعالبي: «لم تزل أصبهان مخصوصة بين البلدان بإخراج فضلاء الأدباء وفحولة الكتاب والشعراء» حتى أنَّ حمزة بن الحسين الأصبهاني المتوفى قبل سنة ٣٦٠هـ قد ألّف كتابًا خاصًا عن «شعراء أصبهان» نقل منه الثعالبي في «اليتيمة» وياقوت في «معجم الأدباء». وقد ذكرنا جملة من الشعراء، ونماذج من أشعارهم.

ثم ذكرنا شعراء جرباذقان، وشعراء الكرَج، وبُرُوجرد، ثم هَمَذان، وهي من مشاهير إقليم الجبال، التي يكفيها فخرًا وسؤددًا أنها أخرجت «معجزة همذان ونادرة الفلك وبكر عطارد وفرد الدهر وغرة العصر» بديع الزمان الهَمَذاني على حد تعبير أبي منصور الثعالبي، وسقنا ذكر عدد من شعرائها ونماذج من أشعارهم المستحسنة.

وعنينا بذكر شعراء زَنْجان وأبهر، وهما من نواحي إقليم الجبال أيضًا، وثنينا بشعراء سُهرورد القريبة من زنجان.

وذكرنا بعد ذلك شعراء قُم وقاشان وهَرَند، ثم شعراء جرجان وإستراباذ، وهي المنطقة التي أكثر العرب من الاستيطان فيها حتى أنَّ أكثر أهلها كانوا من أصول عربية.

وعنينا بذكر شعراء بيهق لا سيما أولئك الذين ذكرهم فريد خراسان علي بن زيد الأنصاري البيهقي مؤلف «تاريخ بيهق».

أما شعراء نيسابور ومحيطها مثل إسفراييين، وباخرز، وزام، وزوزن، فكانوا كثرة ذكرنا بعضهم وشيئًا من أشعارهم الدالة على شاعريتهم.

ثم ذكرنا شعراء فارس، وكرمان، وسجستان، وخوزستان تغطية لبقية البلاد الإيرانية التي كانت مكتباتها تحتفظ بعشرات الدواوين لشعراء عاشوا في هذه البلاد وقد وصل منها الكثير إلى يوم الناس هذا.

وعُنينا في الفَصْل السادس، وهو من الفصول المُهمّة، ببيان الخارطة المَذْهبية لإيران حتى العَصْر الصَّفَويّ، وبَيّنا، بما لا يقبل الشك، أنَّ إيران لم تكن تَعْرف التَّشيعَ، فَضْلًا عن أن تكون منبعًا له إلى مطلع القرن العاشر الهجري، ففي الوقت الذي ابتُلِي العراق بالسَّيْطرة البُويهية، وابتُليت البلاد المصرية والشامية بالإسماعيلية وخملت السنة في هذه البُلْدان كانت السُّنّة ظاهرة متميزة مُنْتَعشة في إيران.

لقد حاول كُتّاب الحركات القومية العربية رَبْط التَّشيع والغُلو فيه بالفُرس منذ دخول الإسلام إليه، فذكروا أنَّ الحركات الفارسية القومية التي نَجَمت في قُرون الإسلام الأولى اتخذت من التَّشيع مَرْكبًا لتحقيق أغراضها القومية، وهي نظرة خاطئة منبثقة من الواقع المُعاش في عصرنا ومحاولة إسقاطه على إيران في القُرون الأولى.

لقد بيّنا أنَّ كُلَّ هذا التصور الخاطئ إنما جاءَ مما صارت إليه إيران بعد العَهْد الصَّفَوي وما ابتدعتهُ من مُسْتحدثات في التَّشيع تأصلت في المُجتمع الإيراني على مَدَى خمسة قُرون عِجاف مَرَّت على الشعوب الإيرانية في عملية قَسْرية مُمنهجة حَوَّلت هذا البَلَد السُّني إلى تشيع لا يشبه التَّشيع الحَقيقي في شيءٍ سوى الاسم.

وكانَ لا بُد لنا في مَطْلع هذا الفَصْل أن نبيِّنَ أن التَّشيع المُعتدل قد نشأ بين العَرب في الكُوفة خاصة وأنَّهُ كان على ثلاثة أنواع: تشيعٌ سياسيٌّ متمثلٌ بحب

آل البيت ومُناصرتهم، وتشيعٌ زَيْديٌّ قائلٌ بأنَّ عليًّا كان أفضل النّاس بعدَ رسولِ الله ﷺ وأحقهم بالخلافة لكن مَصْلحة المُسلمين اقتضت تولية غيره، فتركَ حقَّهُ راضيًا، وأنَّ إمامة من سبقه صحيحة، وتشيّع عَقَدِي يؤمنُ بأنَّ النبيَّ ﷺ قد أوصى بالخلافة من بعده لعليّ، وأنَّ جميع فرق الغُلاة خَرَجت من رَحِمِ التَّشيع الأخير، لكنّهم كانوا محدودي العَدَد وقد اختفوا تقريبًا في القرن الثالث الهجري.

وبيّنا أنَّ الحركات الفارسية القومية والشُّعوبية التي نَجَمت في إيران بعد الثَّورة العباسية لا علاقة لها بالتَّشيع، وأنَّ أول بؤرة للتشيّع في إيران كانت في قُم أنشأها عَرَبٌ من أهل الكُوفة بعد فشل ثورة عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج بن يوسُف الثقفي، وظل التَّشيع مَحْصورًا في هذه المدينة بينما كانَ الإيرانيون المُسلمون من أهل السُّنّة والجماعة، وأنَّ مُحاولة نشر التَّشيع في البلاد الإيرانية لم تَنْجح حتى حينما تَسَلَّط البويهيون على الخلافة العباسية ببغدادَ، فعملوا على نشر التَّشيع في العراق، ولكنهم لم يَنْجحوا في نشره في إيران.

لقد بيّنت الدِّراسةُ أنَّ المَذْهبين الحَنَفي والشّافعي هما المَذْهبان السائدان في إيران حتى العَصْر الصَّفَويّ، وأنَّ أصبهانَ ونَيْسابور، وهما أعظم مدينتين في إيران يومئذٍ، كانتا من مَعَاقِل أهل السُّنّة لا يشاركُهم فيها أحدٌ، فضلًا عن الحَواضر الأُخرى مثل الرَّي، وأردستان، وجرجان، وإستراباد، وقَزْوين، وسجستان، وغيرها من البُلْدان.

وبيّنا في هذا الفَصْل أنَّ مما ساعدَ على الحفاظ على الهويّة السُّنّية لإيران هو توالي الحُكّام من أهل السُّنة والجماعة عليها إلى استيلاء المغول على البلاد في أوائل القرن السّابع الهجري، وهم الطاهريون، والصَّفاريون، والسّامانيون، والغَزْنويون، والسَّلاجقة، والخُوارزمشاهية باستثناء البُويهيين الذين لم يكن لهم تأثير مَحْسوس في إيران، وإنما نَشَرُوا التَّشيع في العراق، وأنَّ الحُكّام

المغول والإيلخانيين والتُّركمان لم يتدخلوا في تغيير الخارطة المَذْهبية لأهل البلاد، إلا في حالات قليلة باءت بالفَشَل.

وقد استندت الدراسة إلى وثيقتين بَيّنتا الخارطة المَذْهبية لإيران، وأنَّ الشيعة كانوا أقلية ضئيلة حتى مطلع القرن العاشر الهجري، إحداهما لشيعي هو نصير الدين عبد الجليل بن أبي الحُسين بن أبي الفَضْل الرّازي القَزْويني الذي أَلَّف كتابه «بعض مثالب النَّواصب في نَقْض بعض فضائح الروافض» (بعد سنة ٥٥٦هـ)، والثاني لسني هو حمد الله المُستوفي القَزْويني (ت ٧٥٠هـ) صاحب «نُزهة القلوب»، فضلًا عن دراسات حديثة كثيرة بَيَّنت هذه الحقيقة.

وأشارت الدِّراسة في الوَقْت نفسِه إلى أنَّ كثيرًا من المواطن التي وصِفَت بالتَّشيع لم يكن تشيعها تشيعًا إماميًا، بل كانت في الأغلب الأعم زَيْدية، وهم قريبون من أهل السُّنة لا يختلفون معهم إلا في مسائل طفيفة، وقلة من الإسماعلية.

ولما كانت الشِّيعة الإمامية أقلية ضَئِيلة تَعِيش في ظل دولٍ سُنّية ومجتمع يَغْلب عليه التَّسنن، كانَ لا بُد لهم أن يتعايشوا في هذا الجو ويبعدوا عن أنفسهم كل تُهمة تسيء إلى أهل السنة ورموزهم ومعتقداتهم، فضلًا عن المُجاملة والتَّسامح، والدَّعوة إلى نَبْذ التعصب بين الطائفتين.

وقد أظهرت الدِّراسة بعضَ المُحاولات لتَشْييع إيران قبل العصر الصَّفَويّ، باءت جميعُها بالفَشَل من نحو محاولات الإسماعيلية الباطنية التَّغلغل في الدَّولة السّامانية، وفَشل البويهيين في نَشْر التَّشيع في إيران، ومحاولات بعض علماء المَذْهب الإمامي إقناع بعض الحُكّام المغول التَّحول إلى مَذْهبهم وإجبار الناس على الالتزام به كما في مدة قصيرة من عهد أولجياتو خُدابندة لم تزد على سَبْع سنوات باءت بالفشل، وأنّ إيران بقيت بمُجملها محتفظة بمذهب أهل السُّنة والجماعة إلى مجيء الصَّفَويين.

ولا بد لي وقد تضمن الكتاب عددًا كبيرًا من تراجم العلماء أن أُبيّن بعض ما شاع عند بعض الناس من ضبط بعض الأعلام التي آخرها تاء مربوطة هاءً، مثل «وارة» و«ماجة» لنص بعض الكتاب على تسمية هذه التاء هاءً، فظنوها هاءً مَحْضَة، وليس الأمر كما ظنّوا؛ فإن الكتّاب العرب، ومنهم أصحاب المُعجمات يُسَمّون التاء المربوطة أو التي على صفة الهاء هاءً.

ومن ذلك قول ياقوت الحموي في «معجم البلدان»: «صِيْرة: بالكسر وآخره هاء»[١]، وقوله في النُّمارة: «بالضم وآخره هاء»[٢]. وقول الحازمي في صَعْدَة المدينة المعروفة باليمن: «بفتح الصاد وسكون العين وآخره هاء»[٣]، وقول القاضي عياض: «رُعاة: بضم الراء وآخره هاء»[٤]، وقول النووي: «الصَّرُورة: بفتح الصاد المهملة وتخفيف الراء المضمومة وآخره هاء، وهو الذي لم يحج»[٥]، وقول السيد الزّبيدي في «قصب» من «تاج العروس»: «قصباة: مقصور بألف الإلحاق وآخره هاء تأنيث»، فانظر إلى قوله: «هاء تأنيث».

أما الهاء المحضة فيعبرون عنها كذلك، وربما قالوا: بهاء خالصة[٦].

وهاء التأنيث مستعملة بكثرة في كتب التراث، قال الداني في كتاب «الإيماء» قال يحيى بن يحيى عن مالك في سنده: عن مولاةٍ، بالهاء على التأنيث»[٧]، وقال البغدادي في «خزانة الأدب»: «وسهلة: بفتح السين المهملة وسكون الهاء بعدها لام وهاء تأنيث»[٨]. وقال ابن وهب الكاتب: «كل اسم فيه هاء التأنيث

---

(١) معجم البلدان ٣/ ٤٣٨.
(٢) المصدر السابق ٥/ ٣٠٤.
(٣) ما اتفق لفظة وافترق مسماه من الأمكنة، ص٦٠٣.
(٤) مشارق الأنوار ١/ ٢٩٤.
(٥) تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ١٧٤.
(٦) معجم البلدان ٣/ ١٢٩.
(٧) الإيماء ٤/ ٢٤١.
(٨) خزانة الأدب ٦/ ٦٠.

أو ليست فيه هاء التأنيث إلا ما كان على ثلاثة أحرف وسطه ساكن ليست فيه هاء تأنيث... إلخ»[1] وأمثلة ذلك كثيرة.

وقد جَرَت عادة الكثير من الكتاب في عصرنا ضبط الأسماء المنتهية بـ«ويه» مثل ضبط النحويين واللغويين لها بفتح الحرف الثالث والرابع وسكون الياء آخر الحروف وآخره هاء مَحْضة مثل «سيبَوَيْه»، و«نِفْطَوَيْه» و«باسَوَيْه»، و«عَمَّوَيْه»، و«حَمَوَيْه»، و«راهَوَيْه»، ونحوها، مع أنَّ الكُتُب التي ضُبِطَت فيها مثل هذه الأسماء لمحدثين أو فقهاء، والمحدثون لا يضبطون هذا الضبط حيث يقيدون مثل هذه الأسماء بضم الحرف الثالث وسكون الرابع وفتح الياء المثناة ثم هاء التأنيث، وهي التاء المربوطة، قال زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦هـ) وهو ممن عُنِيَ بتقييد ما يحتاج إليه في كتابه «التكملة لوفيات النقلة»:

«شِيْشُوْيَة: بكسر الشين المعجمة وسكون الياء آخر الحروف وبعدها شين معجمة مضمومة وواو ساكنة وياء آخر الحروف وتاء تأنيث»[2].

وقال: «عَمُّوْيَة: بفتح العين المهملة وتشديد الميم وضمها وبعدها ياء آخر الحروف مفتوحة وتاء تأنيث»[3].

وقال: «باسُوْيَة: بالباء بواحدة وبعد الألف سين مهملة مضمومة وبعد الواو الساكنة ياء آخر الحروف مفتوحة وبعدها تاء تأنيث»[4].

وقال النووي في ترجمة أبي عبيد بن حَرْبُوْيَة: «بحاء مهملة مفتوحة ثم راء ساكنة ثم باء موحدة ثم واو مفتوحتين ثم ياء ساكنة ثم هاء، ويقال: بضم الياء مع إسكان الواو وفتح الياء، ويجري هذان الوجهان في كل نظائره

---

(١) البرهان في وجوه البيان، ص٢٥٨.

(٢) التكملة ١/ ٢٦٦ (٣٦١) (بتحقيقنا).

(٣) التكملة ٣/ ٢٠٢ (٢١٥٢).

(٤) التكملة ٣/ ٣٩٥ (٢٦٠٤).

كسيبوية وراهوية ونفطوية وعمروية، الأول مذهب النحويين وأهل الأدب والثاني مذهب المحدثين»[1].

ومن هنا ضبط كتاب المشتبه هذه الأسماء ضبط المحدثين، فقال ابن ناصر الدين في توضيح المشتبه: «حَمْدُويَة: بفتح أوله وسكون الميم وضم الدال المهملة وسكون الواو وفتح المثناة»[2]. وقال في مَرْدُوْيَة: «بفتح الميم وسكون الراء والدال المهملة مضمومة والواو ساكنة والمثناة تحت مفتوحة تليها هاء»[3]، والمراد بالهاء هنا التاء المربوطة كما بيّنا.

ومن هنا فإننا ضبطنا مثل هذه الأسماء إذا كانوا من المحدثين أو الفقهاء أو نحوهم، وضبطنا ضبط النحويين إذا كانوا من النحاة أو الشعراء أو الأدباء. على أنَّ مثل هذه القضايا ليست من الإهمام بحيث يقال: أصاب فيها فلان وأخطأ فلان، لكننا ذكرناها لئلا يُحتج علينا بمثيلاتها.

ثم لا بد وقد أنهيت تأليف هذا الكتاب أن أتقدم بالشُّكْر والتَّقْدير إلى تلامذتي النُّجباء: الدكتور مهران الزُّعبي، والدكتور محمود بشار عواد، والدكتور محمد بشار عواد لمعاونتهم المُستديمة وقراءتهم لنص الكتاب، أسألُ الله جل في عُلاه أن يثيبُهم على ذلك، وأن يُوفِّقني وإياهم لما فيه خَيْر الأمة ووحدتها، ونبذ الغُلو والتَّطرف، وكَشْف عواره، والتَّحْذير منه، وأن يثبتنا بقوله الثابت في الحياة الدُّنيا والآخرة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه
أفقر العباد
بشار بن عواد

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٥٨.
(٢) توضيح المشتبه ٣/ ٣١٧.
(٣) المصدر نفسه ٨/ ١١٠.

العربية شعار الإسلام وأهله

قال أحد الموالي للخليفة المنصور:

«يا أمير المؤمنين، إن كانت العربية لسانًا

فقد نطقنا به، وإن كانت دينًا فقد دخلنا فيه»

تاريخ الإسلام ٨/ ١٨٣

حينما اطلع سكان إيران الأصليين على دين الإسلام وعرفوا مزاياه في التواد والتراحم والحرية والمساواة، واستذكروا ظلم طواغيت رجال الدين الزردشتيين دخلوا في هذا الدين الجديد وحدانًا وزرافات من غير أي إكراه بشهادة جميع المؤرخين الذين أرخوا لإيران في العصر الإسلامي[١].

وقد بيّن الفاتحون العرب المسلمون أنَّ العربية من لوازم الدين، لأن فقه هذا الدين على وجهه الصحيح لا يمكن أن يتحقق إلا بمعرفة العربية. ومن هنا حبذ العلماء أن يعتاد الطفل الخطاب بالعربية منذ صغره بحيث تكون العربية هي اللغة الأم له، ففشت لغة الدين الجديد بين المسلمين من غير العرب، بحيث أصبح من الصعب تمييز العربي الصريح في نسبه عن العربي المنتقل إلى قومية العرب باللغة والدين ومستلزماتهما، وقد سأل الخليفة المنصور أحد الموالي عن نسبه فأجابه المولى: «يا أمير المؤمنين، إن كانت العربية لسانًا فقد نطقنا بها، وإن كانت دينًا فقد دخلنا فيه»[٢].

وعلى الرغم من الإعجاب الكبير الذي عرف عن المستشرق الإنكليزي إدوارد براون للفارسية فإنه يقول: «قد كتب الإيرانيون خلال هذه المدة في

---

(١) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: T.W.Arnold, Preaching of Islam, London 1896، براون: تاريخ الأدب في إيران ١/ ٣٠٣ فما بعد.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ٤/ ١٤٩.

موضوعات شتى تتعلق باللغة العربية خاصة الحكمة والإلهيات، وهم قد نحوا جانبًا تقريبًا لغتهم عند كتابتهم في هذه الألوان، بينما كانت لغة الفاتحين وحدها وسيلتهم للكتابة وتسجيل أفكارهم الأدبية الإيرانية... كانت العربية وحدها هي لغة الإيرانيين الأدبية»[1].

لقد تعربت إيران بعد الفتح الإسلامي، مثلما تعربت بلدان أخرى بفضل الإسلام مثل مصر وبلدان شمال إفريقية والأندلس وغيرها، فكانت اللغة العربية والحرف العربي هما السائدان فيها، فألفت بالعربية آلاف الكتب، وألقيت بها المحاضرات، وعقدت مجالس الوعظ، ومجالس الإملاء، وتغنى الشعراء بمدنها، واشتاقوا إليها.

ومن هنا فإن مظاهر عروبة البلاد تتمثل بما يأتي:

أولًا: كثرة القبائل العربية التي استوطنت بلاد إيران، كما تقدم في المبحث السابق، حتى أنَّ بعض المدن لم تعرف إلا بسكانها العرب مثل قم التي استوطنها عدد من قبيلة الأشعر، وهو الذين أسسوها[2]. وكان في قرية خارزنج إحدى قرى نيسابور من ناحية بشت أبو حامد أحمد بن محمد الخارزنجي المتوفى سنة ٣٤٨هـ إمام أهل الأدب بخراسان في عصره بلا مدافعة، لما دخل بغداد تعجب أهلها من تقدمه في معرفة العربية والتبحر بها، فقيل: هذا الخراساني لم يدخل البادية قط، وهو من آدب الناس، فقال: «أنا بين عربيين بشت وطوس»[3].

---

(١) براون: تاريخ الأدب ١/ ٣٧-٣٨.

(٢) معجم البلدان ٤/ ٣٩٧.

(٣) السمعاني: الأنساب ٥/ ٧-٨.

ثانيًا: لغة العلماء:

إن اللغة الرسمية بين أهل العلم العربية، بها كانوا يتحاورون، ويؤلفون كتبهم وأبحاثهم ورسائلهم حتى عصور متأخرة، وأن التأليف باللغة الفارسية الحديثة كان قليلًا، فضلًا عن أنه إنما بدأ متأخرًا.

إن التواريخ المعنية بذكر تراجم العلماء من محدثين، وفقهاء، ومتكلمين، وأدباء، وشعراء، وحكماء، وفلاسفة، وأصحاب العلوم الصرفة، تشير بلا ريب إلى أنهم قد كتبوا مؤلفاتهم بالعربية، ويكفي أن نذكر ما وصل إلينا من تواريخ المدن الإيرانية، ليتبين لنا هذا الأمر بجلاء ووضوح، مثل تاريخ نيسابور لأبي عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ)، والسياق لعبد الغافر الفارسي (ت ٥٢٩هـ)، وتاريخ جرحان لحمزة بن يوسف السَّهمي (ت ٤٢٧هـ)، وتاريخ أصفهان لأبي نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ)، وغيرها، لندرك حجم الثقافة العربية السائدة في تلك البلاد.

لقد كتب حاجي خليفة المعروف بكاتب جلبي (ت ١٠٦٧هـ) كتابه «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري، وحاول هو، ومن استدرك عليه ممن جاء بعده، أن يستوعبوا المؤلفات التي كُتبت إلى زمانهم، بالعربية والفارسية والتركية، فكانت العربية هي السائدة، وأن ما كتب بالفارسية حتى في هذه الأزمنة المتأخرة كان أقل القليل قياسًا بما كتب بالعربية.

إن كتابًا مثل «تاريخ الإسلام» للذهبي الذي امتدت تراجمه إلى سنة ٧٠٠هـ وحَوَى آلاف التراجم لعلماء عاشوا في المدن الإيرانية ولم يؤلفوا بغير العربية لمن أقوى دليل على أن اللغة السائدة في تلك البلاد كانت العربية.

وعلى العكس من ذلك كان الحُكام التابعون للبويهيين في إيران يظهرون التودد لأهل السنة، وكذا رؤساء الشيعة وشعراؤهم كما تقدم.

لقد حاول المذهب الإمامي الشيعي في العهد المغولي أن ينفذ إلى إيران، فلم يستطع علماؤه أن يغيروا قناعات الشعب، لذلك توجهوا إلى الحكام، وقد استطاع ابن المطهر الحلي أن يقنع السلطان المغولي أولجياتو خُدابنده الذي حكم من سنة ٧٠٤-٧١٦هـ/ ١٣٠٤-١٣١٦م سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م أن يتحول إلى التشيع، قال البرزالي في حوادث سنة ٧٠٩هـ: «وفي آخر ذي القعدة بلغنا أن خربندا ملك التتار أظهر الرفض في مملكته، وأمر خطباء بلاده بإسقاط أسماء الخلفاء الراشدين الثلاثة من الخطب والاقتصار على علي وولديه وأهل البيت رضي الله عنهم وأن خطيب باب الأزج[١] لما فعل ذلك بكى ونزل عن المنبر، وعجز عن الصلاة، فصلّى غيره، وحصل وهن عظيم لأهل السنة»[٢]، لكن هذا لم يدم طويلًا، فيذكر ابن بطوطة أن السلطان رجع عن مذهب الرفض وكتب إلى بلاده أن يقر الناس على مذهب أهل السنة والجماعة إثر كرامة لقاضي شيراز الذي كان قد رفض الأمر[٣]، إلا أن البرزالي ـ وهو أوثق ـ ذكر أنه بقي كذلك إلى حين وفاته سنة ٧١٦هـ وأنَّ خليفته أبا سعيد هو الذي رجع عن ذلك[٤]. ومهما يكن من أمر فهي مدة قصيرة لم تزد على سنوات سبع.

وهكذا يتبين أن إيران بمجملها بقيت محتفظة بمذهب أهل السنة والجماعة إلى مجيء الصفويين وأن الشيعة كانوا فيها أقلية ضئيلة محصورة في بعض المناطق الذي تقدم ذكرنا لها.

---

(١) يعني خطيب جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ببغداد.

(٢) المقتفي لتاريخ ابن شامة، تحقيق عبد الرحمن العثيمين وتركي آل سعود وبشار عواد، بيروت ٢٠١٨م، ٤/ ٣٩٧-٣٩٨.

(٣) رحلة ابن بطوطة ٢/ ٣٩ بتحقيق التازي، الرباط ١٤١٧هـ.

(٤) المقتفي ٥/ ٢٢٧، ٢٣٢، ونهاية الأرب للنويري ٣٢/ ٢٤٥.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
تقديم	٧
الفصل الأول: إيران والعرب والإسلام	٢٧
فتح إيران	٢٩
استيطان العرب في إيران	٤١
العربية شعار الإسلام وأهله	٦١
الفصل الثاني: مدن العلم الكبرى	٦٩
أصبهان	٧٣
همذان	١٠٣
نهاوند	١٢٥
علماء خُراسان	١٣٣
نيسابور	١٣٣
طوس	١٨٣
جُوَيْن	١٩٥
إسفراييين	١٩٩
بيهق	٢٠٧
كورة قومس	٢١٢
جرجان	٢٢٤
الري	٢٣٨
شيراز	٢٥٣
سجستان	٢٦٣
الفصل الثالث: شيوع الثقافة العربية في القرى الإيرانية	٢٧٣
قرى خراسان رَضَوي	٢٧٧
قرى نَيْسابور	٢٧٧

الموضوع	الصفحة

قرى طوس وإسفراين ٣٠٦
قرى إقليم الجبال ٣١٥
قرى أصبهان ٣١٥
قرى هَمَذان ٣٩٤
بلدات الرَّي وقراها ٤٠٩
قرى جُرجان وإستراباذ ٤١٩
بلدات فارس وقراها ٤٢٦
بلدات الأهواز وقراها ٤٤١
الفصل الرابع: المدارس العربية في إيران ٤٥٧
الفصل الخامس: شعراء العربية في إيران ٥١٣
شعراء أصبهان ٥٤٢
شعراء جرباذقان ٥٥٦
شعراء الكَرَج ٥٦٠
شعراء بُرُوجِرْد ٥٦٢
شعراء هَمَذان ٥٦٣
شعراء زَنْجان وأبهر ٥٧٥
شعراء سُهْرَورد ٥٧٨
شعراء قُم وقاشان وهَرَند ٥٨٠
شعراء جرجان وإستراباذ ٥٨٣
شعراء بيهق ٥٨٨
شعراء نيسابور ومحيطها ٥٩٤
شعراء فارس ٦١٠
شعراء كَرْمان ٦١٢
شعراء سجستان ٦١٤
خوزستان ٦١٧
الفصل السادس: المذاهب الإسلامية في إيران حتى العصر الصفوي ٦١٩

دار أطلس الخضراء 0544896654
38432
ايران في ربيع الاسلام
السعر 62 00 ريال لمكتن 1000